Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i3

الإشاريات الزمانية والمكانية في شعر الخلفاء العباسيين (دراسة تداولية)

رسل كريم راضي
rasel.k.radhi@utq.edu.iq

أ.د. رائد حميد مجيد
dr.read.h.albeteat@utq.edu.iq
قسم اللغة العربية/كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ذي قار/العراق

الملخص

يسعى هذا البحث الى أستكشاف دور الإشاريات الزمانية والمكانية في شعر الخلفاء العباسيين بوصفها مكونات تداولية تندمج في النص الشعري لتؤدي أدواراً دلالية وتواصلية. فالزمان والمكان في هذه النصوص لا يؤديان وظيفة ظرفية فحسب. بل يتحولان الى أداة تعبير عن الحالة الشعورية ووسيلة لبناء العلاقة بين المتكلم والسياق التاريخي والاجتماعي والنفسي. وقد اعتمد هذا البحث على مقاربة تداولية تهتم بقراءة العلامات اللغوية في ضوء السياق، مسلطاً الضوء على الوظائف الدلالية لهذه الإشاريات، وعليه فإن الإشاريات الزمانية والمكانية تمثل مكوناً دلالياً ومحورياً في تشكيل خطاب الخلفاء الشعري وتوجيه مقاصده

الكلمات المفتاحية: الخلفاء العباسيين، الإشاريات، الزمانية، المكانية، تداولية

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i3

Temporal and spatial references in the poetry of the Abbasid caliphs (a pragmatic study)

Rusul Kareem Radi
rasel.k.radhi@utq.edu.iq

Prof. Dr. Raed Hameed Majeed
dr.read.h.albeteat@utq.edu.iq

Department of Arabic Language / College of Education for Human Sciences /
University of Dhi Qar / Iraq

Abstract

This study explores the role of temporal and spatial references in the Abbasid Caliphate as a communicative component integrated into the poetic text to achieve semantic and communicative meaning. In these texts, time and place do not merely serve as adverbial contexts, but rather become complex tools for ineffective events, and a means of linking speakers to historical, social, and psychological contexts. This research adopts a diverse approach to reading linguistic philosophy in light of context, highlighting the semantic function of these references. Completely, temporal and spatial references represent semantic and pivotal elements in shaping and targeting the Caliph's poetic discourse.

Keywords: Abbasid Caliphs, deictics, temporal, spatial, pragmatics

مفهوم الإشاريات التداولية

تُشكل الإشاريات أحدى المرتكزات المفاهيمية التي يقوم عليها البحث التداولي في دراسته للظواهر اللغوية ((وهي من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها الا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، على الرغم من ارتباطها بمرجع الا انه مرجع غير ثابت)) (الشهري، 2004، صفحة 80)

عرفها (جورج يول) بقوله ((التأشير deiscis: مصطلح تقني يستخدم لتوصف به احدى اهم الأشياء التي نقوم بها اثناء الكلام، التأشير في اللغة يشير الى عملية الإشارة او التحديد باستخدام اللغة ويطلق على أي صيغة لغوية تستخدم لهذا الغرض مصطلح التعبير الاشاري)) (يول، 2010، صفحة 27)

ويعرفها (فان دايك) بأنها ((تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي يستقي تفسيرها منه ؛ وهي المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه.. إلخ.. وهذا يعني أن هذه التعبيرات غير مستقلة عن السياق، ولها دائما محيلات أخرى)) (العزيز، 2018، صفحة 231)

وتعد ((الإشاريات صيغ لغوية يجري تفسيرها بالاعتماد على المتكلم والسامع ضمن سياق واحد وتأتي لتزيل الابهام عند غياب المشار اليه اذ عن طريقها يعرف المتحاورون المقصود دون الحاجة الى وجود المشار اليه او تكراره)) (الخليف، 2023، صفحة 301)

ويصنف مصطلح الإشاريات من اكثر المصطلحات شيوعاً ؛ فهو مصطلح يستعمل الوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام ألا وهو التأشير ((والتأشير يعنى الإشارة من خلال اللغة ، ويطلق على أيه صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح (الإشاريات) وهو من أشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه ، وقد تكون بالكف والعين والحاجب)) (الحسن، 2023، صفحة 361)

و تعتبر الاشاريات احدى المفاهيم اللسانية التي تجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة الى المقام من حيث وجود الذات المتكلمة او الزمن او المكان حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط به معناه من ذلك: (الان) ،(هنا) ،(انا)، (انت) ، (هذا) ...تتحد هذه العناصر اللغوية في وظيفة أساسية هي التعيين او توجيه الانتباه الى موضوع محدد عن طريق الإشارة اليه (الزناد، 1993، صفحة 116) (المناع، 2023، صفحة 199)

المطلب الأول: الإشاريات الزمانية

الإشاريات الزمانية تساعد في تحديد متى وقع الحدث أو سيقع، أو متى يكون الشيء موجودًا. فهي جزء من الإشارية (Deixis)، وهي فرع من فروع علم اللغة التداولي يهتم بدراسة الكلمات والعبارات التي تعتمد في معناها على سياق الكلام، وخاصةً على موقع المتكلم وزمانه ومكانه.

وتعد ((الإشاريات الزمانية كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم فزمان التكلم هو مركز الإشارة deictic centerالزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ فقولك مثلاً بعد أسبوع يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعد شهر أو بعد سنة وكذلك إذا قلت نلتقى الساعة العاشرة فزمان التكلم وسياقه هما اللذان يحددان المقصود بالساعة العاشرة صباحا أو مساءً من هذا اليوم أو من يوم يليه)) (نحلة، 2004، صفحة 83) ،

تتمثل الإشاريات الزمانية ((إما بزمن الفعل، وإما بظروف الزمان، وهي المحددات الزمانية التي تربط عناصر الخطاب (المتكلم والمخاطب) بزمن الحدث اللغوي، أو هي الألفاظ الدالة على لحظة التلفظ، أو هي التي تحيل على زمان ما في الخطاب، وهي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم، فزمان الكلام هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فمرجع الزمن هو لحظة التلفظ لهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى، وتربط كذلك بين الزمن والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية)) (الأحمدي، 2019، صفحة 61)

والإشاريات الزمانية تعتبر أدوات لغوية حاسمة في تحديد مرجعية الخطاب وتأويله. يستلزم الفهم الصحيح لهذه الإشاريات إدراك المتلقي للحظة التلفظ، واعتبارها نقطة مرجعية أساسية. من خلال هذه النقطة، يتمكن المتلقي من تأويل المكونات اللغوية للخطاب، مستندًا إلى معرفته السياقية والزمنية (الشهري، 2004، صفحة 83)

وقد تنوعت الإشاريات الزمانية في شعر الخلفاء العباسيين كما نلحظ في قول هارون الرشيد وقد كتب الى الفضل بن ربيع وقد اشتكى شكاة (اللهيبي، 2021، الصفحات 349-348)**:**

الكامل

أعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَراكَ تَبِيتُ عَليلا

أوْ أَنْ يَحِلَّ بِكَ السَّقَامُ نَزِيلا

ولَقَدْ سَأَلْتُ فَأَبَتْ مِنْكَ بِغُضَةٍ

إذ قِيلَ أَوْعَكَ ، أَوْ أَحَسَّ غَلِيلا

فَوَدَدْتُ أَنّي مالكُ لِسَلامَتِي

فَأَعِيرُها لَكَ بُكْرَةً وأصيلا

هذا أَخٌ لَكَ يَشْتَكي ما تَشْتَكي

وكذا الخليل إذا أَحَبَّ خَلِيلا

يتضح الأثر التداولي للإشاريات الشخصية والزمانية واضحا في ابيات هارون الرشيد التي يخاطب بها الفضل بن ربيع فهو استعمل مجموعة من الإشاريات التداولية ضمن خطابة منها ضمائر المتكلم المتمثلة بالاشاريات الشخصية وهي الضمير

المتصل في الكلمات (اعزز علي، سالت ، وددت ، مالك سلامتي) وضمائر المخاطب (اراك ، بك ، منك ، لك) والإشاريات الزمانية في (تبيت عليلا) فهو يشير بها الى فترة زمنية غير محددة بدقائق او ساعات انما يقصد الليل كله ونلحظ أيضا استخدامه الإشاريات الزمانية في(بكرة واصيلا) هما فترتان زمنيتان يشير بها الى الفترة الصباح والمساء فهذه الإشاريات الزمانية أسهمت في تحديد السياق الزمني للأبيات. و في النص أعلاه يعبر الرشيد عن حزنه لرؤية الفضل مريضا ويتمنى لو ان بإمكانه ان يهب صحته اليه فهو قد وظف الإشاريات التداولية بأنواعها ليخلق خطاباً صادق يعكس علاقة شخصية قوية بين الخليفة والوزير .

وفي نص اخر للواثق بالله معاتباً بعض جواريه يقول فيه (اللهيبي، ديوان الخلفاء الجزء الثالث قسم الخلفاء العباسيين، 2021، صفحة 497):

كلَّ يوم قطيعة وعتاب

يَنْقَضِي دَهْرُنا ، ونحنُ غِضابُ

لَيْتَ شِعري أنا خُصِصْتُ بهذا

أم كذا العاشقون والأحباب

في ابيات الخليفة الواثق بالله تنتمي الى سياق العتاب والشكوى فالباث هنا (الواثق بالله) والمتلقي (جواري الخليفة) فهو يعبر عن استيائه من كثرة الخصومات التي تحدث بينهم وان هذا الخلافات اصبحت جزء لا يتجزأ من حياتهم وموظفا الاستفهام لغرض التعبير عن التساؤل والحيرة ، وبرزت الإشارات الزمانية التداولية في النص (كل يوم) أشارة زمانية تدل على تكرار والاستمرار في القطيعة توحي بالرتابة والسأم والاشارة الزمانية (دهرنا) حيث دلت على طول مدة الخلاف، وتعكس شعوراً بمرور الزمن الطويل بلا دوى وتضمر نوعاً من الحزن على انقضاء الحياة في الغضب ؛ ويتساءل حول طبيعة العلاقات بين العشاق هل هي هكذا في خلاف دائم ام انها حالة خاصة به ، وبرزت أيضا مجموعة الاشاريات الشخصية (نحن غضاب) ضمير المتكلم يشير الى اشتراك الخليفة مع جواريه في هذا الوضع العاطفي و ضمير المتكلم المفرد (انا خصصت) فهذه الإشارة الشخصية تركز على تجربة شخصية وتضفي طابعا ذاتيا على ابيات الخليفة وقد اعتمد النص على إشارات زمانية متكررة للرسم صورة شعرية للعلاقة التي تنهكها القطيعة اليومية

ونلحظ القائم بأمر الله هو الاخر وردت لديه الإشاريات الزمانية في قوله (اللهيبي، 2021، صفحة 693):

الكامل

مالي مِنَ الأَيامِ إلا مَوْعِداً

فَمَتى أرى ظَفَري بذاك الموعِدِ

يَوْمِي يَمُرُّ، وكُلَّما قَضَّيْتُهُ

عَلَّلْتُ نَفْسي بالحديث إلى غَدِ

أقبح بنفسٍ تَسْتَريحُ إلى المنى

وعلى مطامعها تَرُوحُ وتَغْتَدي

وظف القائم بأمر الله المشيرات الزمانية بقصد تداولي في قوله (الأيام، وموعداً يومي، غد)، فهو يشير في اول البيت أنه لا يملك من حياته سوى وعد مؤجل و ان يومه يمر عليه ببطء أذ يؤجل الامل الى غد كل يوم ويعبر عن أستيائه من نفسه التي تستسلم للاماني ، فالباث هنا (القائم بأمر الله) لا يخاطب الاخر بل يخاطب نفسه ويجري محاسبة تأملية بنبرة العتب حيث يعالج حالة داخلية من الخيبة والتأمل في سلوك النفس البشرية وهي تعلق امالها الى غدٍ غير مضمون هذا وقد بدأ القائم بأمر الله ابياته بالتعبير عن حاله وشعوره بان الأيام لا تحمل سوى موعد ينتظره ويتساءل مستعملاً أسلوب الاستفهام للتعبير عن القلق والترقب و متى يكون تحقيق هذا الموعد المأمول.

والراضي بالله هو الاخر وردت لدية الاشاريات الزمانية اذ يقول (اللهيبي، 2018، صفحة 160):

البسيط

لا تحسبن سروراً دائماً أبداً

من سره زمنٌ ساءتهُ ازمان

في هذا النص تتجلى الإشاريات الزمانية في أطار تاملي يحمل حكمة وجودية فالراضي بالله يستهل البيت بتحذير قاطع في قوله (لا تحسبن سروراً دائماً أبداً) مستخدماً إشارتين زمنيتن متقابليتين في الالفلظ (دائما، وابداً) لينفي استمرار الفرح او السرور مما يشير الى ايمان المتكلم بتقلب الزمن وعدم ثبات الأحوال وهذا ما يؤكده في عجز البيت (من سره زمنٌ ساءتهُ ازمان) ،وقد ورت الاشاريات في الفاظ (زمن، ازمان) التي تدل على وحدات زمنية متعاقبة تحمل في طياتها التقلب والتناقض وهما اشاريتان تداوليتان يحملان في مضمونهما مقصداً تداوليا يشير الى نقض اليقين بالاستقرار

ونتأمل أيضا الإشاريات الزمانية في قول المأمون (الصمد، 1998، صفحة 110) :

مجزوء الكامل

يا راقد الليل انتبه

إن الخطوب لها سرى

ثِقَةُ الفتى بزمانِهِ

ثِقَةٌ مُحَلَّلَةُ العُرى

في البيتين اعلاها تظهر الإشاريات الزمانية بشكل واضح ومشحون بدلالة أنذارية تنذر بالتحول وتنبه الى خطر الغفلة، فافتتاح النص ب بعبارة (يا راقد الليل انتبه) يحمل إشارة زمانية تشير الى وقت الليل فهو لا يقصد الليل بوصفه زمنا طبيعيا بل رمزاً لحالة من الغفلة وفي قوله (ان الخطوب لها سرى) أي ان المصائب تسري في غفلة عن الانسان وتحديدا في وقت الليل زمن الراحة والسكينة فيتحول الليل من رمز للطمأنينة الى وقت للتهديد الكامن ويتجلى لنا الاستخدام الاشاري في البيت الثاني اذ

يقول (ثِقَةُ الفتى بزمانِهِ ثِقَةٌ مُحَلَّلَةُ العُرى) فالفظة (زمانه) إشارة زمانية وظفها قاصدا بها ان الثقة في الزمن واهية ومفككة لا يعول عليها قاصداً ايقاظ وعي المتلقي من غفلته الزمنية وشعوره الزائف بالأمان عبر استعمال الاشاريات الزمانية

وإبراهيم ابن المهدي هو الاخر وظف المشيرات الزمانية في شعره منها قوله (شوارب، 2007، الصفحات 128-129-130):

المتقارب

أَطَعْتَ الْهَوَى وَعَصَيْتَ الرَّشَدْ

ولَمْ تَمْلِكِ الصَّبْرَ عَمَّنْ تَوَدَ

إِذَا اللَّيْلُ أَسْبَلَ سِرْبَالَهُ

عَلَى الْأَرْضِ وَاسْوَدَّ وَجْهُ الْبَلَد

رَعَيْتُ الْكَوَاكِبَ حَتَّى الصَّبَاحِ

وَدَمْعِيَ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْسَرِدْ

فَمِنْ ظَالِعَاتٍ وَمِنْ غَائِرَاتٍ

وآخر في حيرَةٍ قَدْ رَقَدْ

إِذَا مَا الزَّمَانُ بِأَخْلَافِهِ

طوَاكَ كَطَيِّ الثِّيَابِ الجُدد

فَمَا أَنْتَ إِلَّا أَسِيرٌ لَهُ

وَإِنْ أَمْكَنَ الْحَيْدُ عَنْهُ فَحِدْ

هب الدَّهْرَ لَمْ يَتَحَامَلْ عَلَى

سواكَ فَهَلْ لَكَ مِنْهُ الْقَوَد

وَإِنْ يَسْقِكَ الْيَوْمَ مِنْ أحسن

صرى لا يُذاقُ وَلَا يُزْدَرَدْ

كَذَاكَ تَجيءُ صُرُوفُ الزَّمَانِ

عَلَى مَا أَرَادَتْ وَمَا لَمْ تُرِدْ

وَإِنْ خَلْطَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ عَلَى

تَلَوُّنِهِ فَمَعَ الْيَوْمِ غَدْ

تتجلى الإشاريات الزمانية واضحة في نص إبراهيم بن المهدي بوصفها ركيزة فنية ودلالية بنى عليها تجربته الشعورية، أذ يفتتح أبياته باستحضار زمن ماضي نرى فيه التناقض بين الانقياد للشهوات وتعبير عن ضعف الانسان امام نزواته ويظهر العجز عن التحمل وانتظار الحبيب او المرغوب مما اظهر حدة الصراع النفسي الذي يعانيه ، وقد وظف الاشاريات الزمانية لنقل حالته النفسية وانفعاله الداخلي مع وضع المتلقي في اطار زمني يتفاعل معه وجدانيا ومعرفيا فقد ورد المشير الزماني لديه في قوله (إِذَا اللَّيْلُ أَسْبَلَ سِرْبَالَهُ) فالفظة الليل إشارة زمنية تبدأ لحظة دخول الليل اذ يصور الليل بوصفه كائناً يغشى الأرض ويعتمها وخيم على نفسه وليل يرمز هنا الى زمن الحزن والتأمل ، ثم ينتقل الى توظيف زماني اخر بقوله (رَعَيْتُ الْكَوَاكِبَ حَتَّى الصَّبَاحِ) أذ تمتد فترة البكاء والسهر من بداية الليل حتى الصباح حيث ان الزمن مستمر بالتقدم مقابل ثباته في حزنه ويرصد حركات النجوم ، ومن ثم يطرح المتكلم رؤيته باستخدام إشارة الزمانية بقوله (إِذَا مَا الزَّمَانُ بِأَخْلَافِهِ) حيث صورة الزمن كقوة عاتية تطوي الانسان كما تطوى الثياب بإشارة منه الى ضعف الانسان امام الزمن وانه اسيرٌ له لا يستطيع الخروج من سلطته وبتأمل الإشاريات الزمانية في اخر الابيات التي ورت في الالفاظ (الدهر ، واليوم ، والزمان) اذ يتأمل في طبيعة الزمن مستعينا بالاشاريات الزمانية ليبرز موقفه الفلسفي من تقلبات الحياة ، وبذلك تتجلى الإشاريات الزمانية في هذا النص ليس بوصفها عناصر سياقية وانما جاءت كمحاور أساسية بنى عليها تجربته ورؤيته الشعرية للوجود ، واضفت على خطابه نبرة تأملية للتعبير عن الانكسار أمام سلطة الزمن

المطلب الثاني: الإشاريات المكانية

الإشاريات المكانية في التداولية تعتبر عناصر لغوية تُستخدم للإشارة إلى المواقع والأماكن في سياق الكلام ((وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعدا أو وجهة. ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هذا وذاك، وهنا وهناك ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر contextالذي قيلت فيه)) (نحلة، 2004، الصفحات 22-21)

((ويمكن أن يحمل التأشير المكاني بعدا نفسيا، فيميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنها بعيدة نفسيا، من خلال توظيف أسماء الإشارة، مثل: لا أحب ذلك القميص فاسم الإشارة (ذلك) لا يحمل معنى دلاليا ثابتا، ولكن تشبع معنى ما في السياق)) (يول، 2010، صفحة 33) (محمد، 2024، صفحة 98)

تُعد كلمات الإشارة (مثل "هذا" و"ذاك") وظروف المكان (مثل "هنا" و"هناك") من أبرز الإشاريات المكانية وضوحا في الخطاب اللغوي. وتُستخدم هذه العناصر للإشارة إلى القرب أو البعد من مركز الإشارة المكانية، وهو المتحدث. كما تشمل الإشاريات المكانية ظروف المكان الأخرى مثل "فوق"، "تحت"، "أمام"، و"خلف"، والتي لا يتحدد مرجعها المكاني إلا بمعرفة موقع المتحدث واتجاهه. وفي حين يميل فلاسفة اللغة إلى التمييز بين كلمات الإشارة وظروف المكان، واعتبارهما نوعين من الإشارة، يميل اللغويون إلى دمجهما في فئة واحدة تُستخدم للإشارة إلى المكان (نحلة، 2004، صفحة 22)

وتتسم العناصر المكانية في الخطاب اللغوي بعدم إمكانية فهمها بمعزل عن السياق الذي أنتجت فيه. وبالتالي، فإن الإشاريات المكانية تستلزم، من أجل تفسيرها ومعرفتها، تحديد المكان الذي يقصده المتحدث (العزيز، صفحة 243)

وردت نماذج الاشاريات المكانية في شعر الخلفاء في كثير من النصوص منها قول محمد المهدي في نخلتي حلوان ، وكان قد خرج الى الصيد (اللهيبي، 2021، صفحة 276) :

مجزوء الرمل

أَيَا نَخْلَتَيْ حُلْوانَ بِالشَّعْبِ إِنَّمَا

أَشَدَّكُما عَنْ نَخْلِ جَوْخى شَقاكُما

إذا نَحْنُ جاوزنا الثنيَّةَ لم نَزَلْ

عَلَى وَجَلٍ مِن سَيْرِنا أو نَرَاكُما

استهل محمد المهدي ابياته بالنداء فهو يخاطب النخليتين مما يوحي بان المتكلم يحاور النخلتين ككائن حي له القدرة على التفاعل والتأثر ويوضح سبب تفضيله لنخل حلوان هو "شقاكما" أي ما لقيتماه من جهد وتعب في هذا المكان فهم لا يزالون خائفين ومترقبين حتى يتجاوزوا الثنية وقد وظف الباث في خطابه مجموعة الاشاريات المكانية في الفاظ (حلوان ، و الشعب ، و الثنية) فقد استعمل هذا الاشاريات المكانية لتوضيح وخلق صورة ذهنية واضحة لدى متلقي الخطاب وفي ذكره للمكان يظهر البعد النفسي وكيف يظهر قلقه حتى يتجاوز "الثنية" ويرى نخل حلوان حيث يربط رؤتيهما بالطمأنينة

وأيضا كانت الاشاريات المكانية حاضرة في قول هارون الرشيد لما بلغ زرود عند مسيره الى الحج (اللهيبي، 2021، صفحة 306)

أَقُولُ وَقَدْ جُزْنَا زَرُودَ عَشِيَّةً

وكادت مطايانا تجُوزُ بِنا نَجْدا

على أَهْلِ بَغْدَاد السلام فإنَّني

أُرِيدُ بِسَيْرِي عَنْ دِيارِهِم بُعْدًا

يستهل هارون الرشيد ابياته بوصف لحظة مروره بمنطقة زرود المشير المكاني المركزي الذي بلغه في طريقه الى الحج وموظفا الإشارة الزمانية وقت العشية (عشية) قاصدا بها وقت محددا من اليوم وهو وقت غروب الشمس ويلقي سلامه على اهل بغداد ، وموظفا مجموعة الاشاريات المكانية التي تجلت بصورة واضحة في الفاظه وهي (نجدا) فهذه الإشارة المكانية تشير الى منطقة نجد المعروفة في شبه الجزيرة العربية حيث ربط تجاوز المطايا لنجد الذي أشار بالتقدم برحلته ومستخدمة الإشارة المكانية (اهل بغداد) موجه سلامها الى بغداد فذكر بغداد هنا يمثل دلالة اجتماعية وعاطفية لان بغداد مركز لحكم هارون الرشيد وربما كان توجيه السلام لها يظهر هذا الارتباط ، ومستخدما الاشارة المكانية في لفظة (اريد بسيري عن ديارهم بعدا) للتعبير عن القرار بالابتعاد رغم شعور الحنين عن هذا الموقع المكاني فهذا المشيرات المكانية ليست مجرد تحديد جغرافي انما هي أدوات لغوية توظف بقصد تحديد موقع المتكلم وتوضيحه للمتلقي وتأطير مشاعره داخل تجربة السفر

ومن النماذج اللافتة لتوظيف الإشاريات المكانية في شعر الخلفاء ما ورد على لسان المستعصم بالله لما وقع في قبضة التتار يقول (اللهيبي، ديوان الخلفاء الجزء الثالث قسم الخلفاء العباسيين، 2021، صفحة 784):

الهزج

وأصبحنا لنا داراً

كجنات وفردوس

وأمســـــــينا بـــــــلا دار

كأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ

يعكس نص الخليفة المستعصم بالله حادثة مأساوية أذ وظف الإشاريات التداولية المكانية لتؤدي دوراً مركزياً في البنية الخطابية عن طريق تكرار الإشارة الزمنية في لفظة (دار) التي وظفت في موضعين متضادين

"لنا دار"

"بلا دار"

فهذه الإشارة المكانية لا تحيل فقط الى حيز جغرافي محدد بل تتسع دلالتها لتشمل الكيان السياسي والديني والاجتماعي أذ عكس التحول من " لنا دار" إلى " بلا دار" التحول من التملك الى الفقد ومن الاستقرار الى التشرد وتأتي الإشارة المكانية مصحوبة بعبارة تمثيلية (كجنات وفردوس) لتعزيز قيمة المكان وتربطه بالنعيم في حين يتلاشى في الشطر الثاني تحت وطأة النفي (بلا دار) فالاستعمال التداولي للإشاريات في البيتين لم يقتصر على الإشارة الى مكان مادي محسوس بل تحول الى بؤرة دلالية عبرت عن فقدان الوجود السياسي والرمزي، فالدار التي كانت عامرة صارت اليوم طللاً لا يرى، كأن وجودها بالأمس كان وهماً ، و أدى هذا التوظيف التداولي للإشاريات المكانية الى انتاج خطاب مأساوي يرصد لحظة الانكسار والتحول وإيصال رسالة الغياب والاندثار الى المتلقي بأسلوب مؤثر.

وإذا كانت الإشاريات المكانية في نص المستعصم بالله قد جاءت لتحمل ابعادا رثائية تعبر عن الانكسار والتحسر على ضياع الحضور السياسي والمكاني، فأنها تأخذ منحى مغايراً في شعر المسترشد بالله، أذ توظف بوصفها أدوات لإثبات السطلة وتأكيد لطموحات الهيمنة الجغرافية. فقد استثمر المسترشد بالله المكان لا بوصفه موضوع فقط بل لتأكيد الهيمنة والسيطرة كما يتضح لنا في قوله (اللهيبي، 2021، صفحة 722):

الطويل

أنا الأشْقَرُ المَوْعُودُ بِي فِي المَلاحِمِ

وَمَنْ يَمْلِكُ الدُّنيا بِغَيْرِ مُزَاحِمِ

سَتَبْلُغُ أَرْضَ الرُّومِ خَيْلي وتُنتَضى

بأقصى بلاد الصين بيضُ صَوارمي

تمثلت الإشاريات المكانية في النص أعلاه في الفاظ (الدنيا ، أرض الروم ، وأقصى بلا الصين) أذ حوت هذه الإشاريات دلالات سياسية استخدمت في سياق يخدم الخطاب الذاتي للمتكلم بوصفه خليفة طامحاً للتوسع والنفوذ الإسلامي فقد اصبحت هذه الإشاريات المكانية أدوات ساهمت في بناء صورة المتكلم كزعيم موعود بالغلبة والنصر، ويفتتح االمتكلم خطابه في اول البيت بإعلان قوي للذات مستخدما الضمير انا ليؤسس حضورا خطابيا مهيمنا وتوظيف لفظة الأشقر ذو دلالة تراثية، اذ تروى في بعض الملاحم اخبار أشقر الذي يكتب له النصر في معارك كبرى مما يمنح المتكلم مشروعية رمزية، وفي قوله (سَتَبْلُغُ أَرْضَ الرُّومِ، بأقصى بلاد الصين) تمثل إشارة مكانية تفيد التوسع والامتداد الجغرافي وترسيخ صورة المتكلم بوصفه قائداً عسكرياً يتجاوز حدود الخلافة التقليدية إذا يبرز السيطرة المنتظرة كأنها تشمل الأرض من غربها الى اقصى شرقها

ونلحظ الاشاريات المكانية واضحة عند هارون الرشيد في قوله في جاريته ماردة وقد اشتاق اليها يقول (اللهيبي، 2021، صفحة 334)**:**

سَلامٌ على النَّازِحِ الْمُغْتَرِبْ

تَحِيَّةَ صَبٍّ بِهِ مُكْتَئِبْ

غَزَالٌ مَرَاتِعُهُ بِالبُلَيْخ

إِلى دَيْرِ زَكَّى فَجِسْرُ الْخَشَبْ

أيا مَنْ أعانَ على نَفْسِهِ

بِتَخْلِيفِهِ طَائِعاً مَنْ أَحَب

سَأَسْتُرُ، والسِّتْرُ مِنْ شِيمَتِي

هَوَى مَنْ أُحِبّ لَمنْ لا أُحِب

يستهل الخليفة هارون الرشيد ابياته معبرا عن شوقه لجاريته ماردة فهو يبدا ابياته بتحية تحمل في طياتها كل معاني والشوق والوجد، ويوجه الباث تحية الى محبوبه البعيد واصفا أياه بصفات (النازح) أي الراحل عن الوطن و (المغترب) أي الغريب في ارض أخرى فهذا الوصف لا يشير الى بعد مكاني فقد انما يشير الى بعد اخر وهو بعد نفسي يوحي بانقطاع التواصل وموظفا الإشاريات المكانية لتحقيق مقصد تداولي وهو مشاركة متلقي الخطاب وجعله جزء من العملية التواصلية بواسطة المشيرات المكانية (مراتعه بالبليخ دير زكى ، و جسر الخشب) مما اضفى تفاصيل حسية اكثر واقعيه للمشهد في ذهن متلقي الخطاب

الخاتمة:

1-كشفت الإشاريات الزمانية والمكانية في شعر الخلفاء العباسيين عن عمق التجربة الشعرية؛ فهي لم ترد لمجرد تحديد المكان او الزمان، بل تُسهم في بناء النص وتعبر عن حالات الحنين، والحزن ، والتقلب النفسي الذي يعانيه الشاعر

2-أدى توظيف الزمان والمكان الى إضفاء بعد تداولي على النصوص، إذ لم يكن القصد فقط الاخبار عن الوقت او الموضع، بل التفاعل مع المتلقي وجعله مشاركاً في التجربة الشعرية

3-يظهر لنا من خلال الابيات ان الخلفاء العباسيين لم يكونوا مجرد حكام بل شعراء يمتلكون حساً فنينا رفيعاً، عبروا من خلاله عن مكنوناتهم النفسية وتقلباتهم الشعورية، فجاءت الإشاريات الزمانية والمكانية لديهم مشبعة بالدلات محملة بهموم الذات وهواجسها لاسيما في لحظات الحنين والاغتراب والقلق

المراجع

الازهر الزناد. (1993). *نسيج النص* (المجلد 1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

أمل مساعد سعد الأحمدي. (2 9, 2019). الإشاريات في المقابسات لابي حيان التوحيدي. *المجلة العربية للنشر العلمي*.

آيات الخليف. (مايو, 2023). تداولية الإشارات الشخصية في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الاندلسي. *مجلة ريحان للنشر العلمي*، الصفحات 297-315.

آية خليل الرحمن محمد. (2024). تداولية الإشاريات في السرد القصي القديم: كليلة ودمنة نموذجا. *رسالة ماجستير، جامعة الاسراء الخاصة ، الاردن*.

جورج يول. (2010). *التداولية*. الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون.

حسين عبد العال اللهيبي. (2018). *ديوان الراضي بالله العباسي* (المجلد 1). دمشق، سوريا: تموز ديموزي.

حسين عبد العال اللهيبي. (2021). *ديوان الخلفاء الجزء الثالث قسم الخلفاء العباسيين* (المجلد 1). بغداد: الرافد للمطبوعات.

حسين عبد العال اللهيبي. (2021). *ديوان الخلفاء الجزء الثالث قسم الخلفاء العباسيين* (المجلد 1). بغداد: الرافد للمطبوعات.

حسين عبد العال اللهيبي. (2021). *ديوان الخلفاء قسم الخلفاء العباسيين الجزء الثالث* (المجلد 1). بغداد: الرافد للمطبوعات.

رحاب فيصل المناع. (2023). الإشاريات التداولية في شعر فدوى طوقان. *مجلة الخليج العربي، المجلد 51*.

صلاح محمد ابو الحسن. (يوليو, 2023). الاشاريات التداولية في مقالات عبد العزيز البشري دراسة تحليلية في كتاب المختار. *مجلة كلية الاداب، المجلد25*(العدد25)، الصفحات 346-389.

عبد العزيز صابر عبد العزيز. (يوليو, 2018). العناصر الاشارية في قصيدة "أرحل وعارك في يديك " لفاروق جويدة دراسة تحليلية. *مجلة الدراسات العربية، المجلد 38*(العدد1)، الصفحات 260-229.

عبد الهادي ظافر الشهري. (2004). *أستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*. ليبيا: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

محمد مصطفى ابو شوارب. (2007). *شعر إبراهيم ابن المهدي ونثره واخباره* (المجلد 1). الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا.

محمود أحمد نحلة. (2004). *افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر* (المجلد 1). لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

واضح الصمد. (1998). *ديوان الأمين والمأمون* (المجلد 1). بيروت-لبنان: دار صادر.